ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

Corresponding author:
Sheikh Haider Al-Aridi
Email:
haider.katem@gmail.com

Keywords: Text - Content - Quran – Controversy- Intellectualism –Rhetoric.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Feb 2025
Accepted 1 Mar 2025
Available online 1 Apr 2025

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

The Qur'anic Influence in the Sermon of Al-Zahra (peace be upon her): A Study in Doctrinal and Legislative Implications

ABSTRACT

The Qur'anic text and its content were the best tools to convey the pain of Al-Zahra and her oppression. Al-Zahra (peace be upon her) relied on the most significant evidence to explain the oppression of Ahl al-Bayt and to highlight the usurpation of their rightful claim. She worked diligently to employ the Qur'anic revelation with its deep implications in her noble speech, aiming for her persuasive style to guide her audience, drawing them towards the truth with both encouragement and warning. This was in addition to her attempts to reform a society that had increasingly deviated from the original teachings of Islam and its principles, leading to the weakening of religious unity after the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) has passed away.

The dominant characteristic of Al-Zahra's speech was its simple yet profound presentation, using language suitable for all levels of human understanding, in a way that aligned with even those with the least intellectual capacity and comprehension. This gave her eloquent speech an aesthetic dimension, creatively and uniquely, in addition to embodying the intellectual and doctrinal axis of her speech, which she emphasized in her dialogue with the Ansar and the leaders of Quraysh.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4182

الأثر القرآنيّ من خطاب السيدة الزهراء عليها السلام

بحثٌ في الدلالة العقديّة والتشريعيّة

الباحث حيدر العريضي/ مديرية تربية النجف

ملخص

لقد كان النصّ القرآنيّ ومضمونه خيرُ أداةٍ لإيصال صرخة السيدة الزهراء ومظلوميتها، كما اعتمدتْ الزهراء عليها السلام أهمَّ دليلٍ في بيان مظلوميّة آل البيت النبويّ، والإشارة إلى استلاب حقّهم الشرعيّ، فعملتْ جاهدة على توظيف الوحي القرآني بعمق دلالاته في خطابها الشريف؛ لكي تؤدي أسلوبها الاقناعيّ إلى هداية المخاطَب، واستمالته نحو الحقّ بالترغيب والترهيب، فضلاً عن محاولاتها في إصلاح المجتمع الذي أخذ يبتعد كثيراً عن تعاليم الإسلام الأصيل ومعالمه، مما أدّى الى تداعي أواصر الوحدة الدينية بعد عروج النبيّ المختار صلى الله عليه وآله الى بارئه.

كانتْ السمة الغالبة لصرخة السيدة الزهراء هي الطرح السهل الممتنع، واستعمال اللغة المناسبة مع جميع مستويات الفهم الانساني، وبما يتوافق مع أقلِّ الناس قدرةً عقليّة وفهما، وقد أضفى على ذلك الخطاب البليغ بُعداً جماليّاً بأبداعٍ منقطع النظير، بالإضافة إلى تضمنّه جهةِ المحور الفكريّ والعقديّ من خطابها عليها السلام، والذي أكدّتْ عليه في حوارها مع الأنصار والمنقلبين من زعماء قريش.

كلمات مفتاحية: النص- المضمون- القرآن- الجدال- الفكرية- الخطاب- الظلامة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

مقدمة

تحولاتٌ خطيرة في المشهد الإسلاميّ ألجأتْ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الى اعتلاء منبر أبيها المختار صلّى الله عليه وآله، وإطلاق صرختها عالياً في سماء العدالة والانصاف، والغاية من خطابها عليها السلام –خطبتيها الكبرى والصغرى- يكمن في ايصال صرختها إلى جميع المسلمين في كُلِّ مكانٍ وزمان، ثُمّ ختمتْ صرختها بوصيّة ألزمتْ بها بعلها أمير المؤمنين عليه السلام أن تُدفن سرّاً، ويُعفى قبرها عن أعين الظالمين؛ ليكون خفاء قبرها علامةً فارقةً في تأريخ الإسلام، فتُشير إلى ظلامتها حتى ظهور دولة العدل الالهيّ، وأتسمَّ خطابها عليها السلام في كلا الخطبتين بغائيّة نبيلة ترنو إلى إثبات حقّ الإمام علي عليه السلام بالخلافة الشرعيّة، والذي كان قدرُها السُلب غدراً، ومن بعد الانقلاب عمدوا إلى غصب حقّها من أرث أبيها ومنحته بعد رحيله صلى الله عليه وآله.

لقد كان النصّ القرآنيّ ومضمونه خيرُ أداةٍ لإيصال صرختها، كما اعتمدتَه عليها السلام أهمَّ دليلٍ في بيان مظلوميّة آل البيت النبويّ، والاشارة إلى استلاب حقّهم الشرعيّ، فعملتْ جاهدة على توظيف الوحي القرآني بعمق دلالاته في خطابها الشريف؛ لكي تؤدي بأساليبها الإقناعيّة إلى هداية المخاطَب، وتعمل على استمالته نحو الحقّ بالترغيب والترهيب، فضلا عن محاولاتها في إصلاح المجتمع الذي أخذ يبتعد كثيراً عن تعاليم الإسلام الأصيل ومعالمه، مما أدّى الى تداعي أواصر الوحدة الدينية بعد عروج النبيّ المختار صلى الله عليه وآله الى بارئه.

كانتْ السمة الغالبة لصرخة السيدة الزهراء هي الطرح السهل الممتنع، واستعمال اللغة المناسبة مع جميع مستويات الفهم الانساني، وبما يتوافق مع أقلِّ الناس قدرةً عقليّة وفهما، وقد أضفى على ذلك الخطاب البليغ بُعداً جماليّاً بأبداعٍ منقطع النظير، بالإضافة إلى تضمنّه جهةِ المحور الفكريّ والعقديّ من خطابها عليها السلام، والذي أكدّتْ عليه في حوارها مع الأنصار والمنقلبين من زعماء قريش.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة على خير خلقه الأمين محمدٍ، وعلى آله المعصومين المظلومين .

مبحث- الأثر القرآنيّ في خطاب فاطمة الزهراء عليها السلام ومقاصده

استهلال

كثيرٌ من استشهد بالقرآن الكريم في خطابه الجدلي مع خصومه مُحقّاً كان أم زائفاً، ولكن لم يشهد التأريخُ آثاراً واقعيّة لخطابٍ قرآنيٍ كالذي شَهِدَهُ لأهل بيت النبوّة من بعد النبيّ الأكرم، حيث أتسّمَ بالإخلاص لله تعالى فأمسى ينمو ببركاته، حتى صار كلامُ الإمامِ علي عليه السلام إماماً للكلام، وكان خطابُ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سيداً للخطاب، كما قال الإمام علي عليه السلام: "وَإِنَّا لأمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصوُنُهُ" (المعتزلي، ١٣٧٨هـ). ص.١٢.

إنّ المُتدبِّرَ في خطابِ السيدة الزهراء عليها السلام يجدُ كلاماً متوشَّحاً بالقرآن في نصّه ومضمونه من جهة الدلالة والإشارة، فلم يُسجّل لنا التأريخ سوى خُطبةً واحدةً لها عليها السلام في المسجد النبويّ الشريف، مع كلامٍ موجهٍ لنساء الأنصار ملؤه العتب والتحذير، حيثُ ابتدأتْ خطبتَها الكبرى بأنّةٍ أجهش لها القوم بالبكاء خُشّعاً؛ لما فيه من مضامين ترغيبيّة وترهيبيّة أثّرَتْ فيهم، وأثارتْ اهتمام الباحثين في جميع المجالات كالبلاغة والبيان، والتفسير لحكمته وأسراره. لقد تماشى أسلوبها مع الأسلوب القرآنيّ وما اعتادتْ عليه العرب من الترهيب والترغيب في خطابهم، فقد كان هذا التوظيف لتلك الأساليب؛ "بسبب هيمنتها بشكلٍ كبيرٍ وخاصّة على موضوعات الترغيب والترهيب التّي أساسها قوام اللُّغة الخطابيّة" (الزهيري و جاسم، ٢٠٢٣م .).

لقد شكّكَ البعضُ بنسبة الخطبة الفدكيّة للسيدة الزهراء عليها السلام من جهة السند، ويُمكن إجمال الردّ عليه إثباتاً لصحّة النسبة بكلمة: "إنّ هذا النصيب من البلاغة إذا استُكْثِرَ على السيدة فاطمة فما من أحدٍ في عصرِها لا يُستكثر عليه" (العقاد، ٢٠١٤م)، ص.٤٠، فهذا المستوى البلاغي لا يليق الّا بأهل بيت النبوة وربيبة المدرسة القرآنية.

وسيراً مع ركب الطالبين لآثاره رجاء ثوابه، ارتأيتُ أن أبحث في آثاره القرآنية نصّاً ومضمونا، ونظراً لضيق المجال سأقتصر على النصِّ القرآني، وبعد استقراء خطابها عليها السلام جاء المبحث منقسماً الى مطلبين، تناولتُ فيهما أهمّ آثار النصِّ القرآني في خطابها عليها السلام، وهما: أثرا المحور العقائدي مع التشريعي.

تكمن مشكلة البحث في كثرة الآيات القرآنية المستعملة نصّاً ومضموناً من قبل السيدة الزهراء عليها السلام، وتناثرها في مفاصل خطابها كالدرر من دون الالتفات الى ضرورة جمعها وتبويبها بشكلٍ موضوعيٍّ في دراسةٍ علميّة.

إنّ أهميّة البحث تظهر جليّة في معرفة مراد السيدة الزهراء عليها السلام من كثرة الاستعمال لآيات القرآن الكريم، وبيان آثارها الواردة في جنبات خطابها عليها السلام، وذلك من خلال الفهرسة الموضوعيّة للآيات المباركة، والغور في معرفة تفسيرها من خلال مصادر التفسير المُعتبرة.

وبالنسبة لمنهج البحث فقد اعتمدتُ المنهجِ التحليلي لآراء المفسرين أداةً لمعرفة مُراد السيدة الزهراء عليها السلام من استعمالها لآيات الكتاب العزيز، ومعرفة أهم آثارها العقديّة والتشريعيّة.

ملحوظة- نظراً لانحصار البحث بخطبتي السيدة الزهراء عليها السلام الكبرى -الفدكيّة- (المجلسي، ابن طيفور، و المعتزلي، ١٤٠٣هـ)، والصغرى مع نساء المهاجرين والأنصار (المجلسي، ابن طيفور، و المعتزلي، ١٤٠٣هـ)، وروماً للاختصار سأكتفي بذكر مصادر الخطبتين هنا في الهامش مع التنويه لأسم الخطبة ومصادرها في بداية ذكر المطلب تجنباً للتكرار واقتصاداً في عدد الصفحات.

تمهيد

معاني مفردات عنوان البحث تنحصر في مفهومي (الأثر والخطاب)، وفيما يلي بيان معنى كُلٍّ منهما مقتصراً بما يتعلّق بالبحث لُغةً واصطلاحاً.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

معنى الأثر لُغةً واصطلاحاً

الْأَثَرُ في اللغة يعني: بقيةُ ما يتركه كُلِّ شيءٍ حيّ من الأثر، وذهبتُ في إِثْرِهِ، أيّ: استقفيته وتبعته، وأَثْرُ الحديث: أن يَأْثِرَهُ قومٌ عن قومٍ، أي: يُحدّث به في آثَارِهِمْ (الفراهيدي، ١٤١٦هـ). ج.٨، ص.٢٣٧.

ومعنى الأثر هو مكنون في استعماله: "وجاء على أثَرِه وإِثْرِه، وكان هذا إِثْرَ ذاك أي: بعده. وما تأثّر إليّ أثَراً إذا لم يَصْطَنِعْك بشيء. ووجدتُ ذلك في الأثَرِ أي: السُّنّة، وفلان من حَمَلة الآثار، وحديثٌ مأثورٌ يَأثِرُه" (الزمخشري م.، ١٤١٩هـ). ص. ١١.

وفي الاصطلاح يعني الأثر: "هو ربّما يخصّص بما ورد عن المعصوم من الصحابي أو التابعي، وربّما يستعمل مرادفاً للحديث وهو الأكثر" (السبحاني، ١٤٣٣هـ). ص.٢٠

معنى الخطاب لُغةً واصطلاحاً

الخطاب لُغةً: "هو المراجعة في الكلام، ومنه: الْخُطْبَةُ والْخِطْبَةُ لكن الْخُطْبَةُ تختصّ بالموعظة، والْخِطْبَةُ بطلب يدِ المرأة، ....، وفصل الْخِطَابُ: ما ينفصل به الأمر من الخطاب" (الأصفهاني، ١٩٩٦م). ص.١٢٣، والخطب هو: "الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخطبُ أيّ: عظم الأمر والشأن، وهو يدلُّ على توجيه الكلام لمن يفهم" (ابن منظور، ١٩٨٨م) ص.٢٢٣، فالخطاب يعني مراجعة الكلام، أو المواجهة بالكلام، وعلى المستوى الدلالي فالخطاب يعني كلاماً أو رسالةً أو محاضرةً يتمُّ تبادلُ الكلام فيها بين طرفين أو أكثر بقصد الإفهام من خلال رسائل لغويّة.

وفي الاصطلاح الخطاب هو: الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يُقصد به إفهام المستمع، فإنّه لا يُسمّى خِطابا (الكفوي، ٢٠٠٣م). ص. ٤٥.

إنّ المقصود من الخطاب القرآنيّ هو الخِطاب الموجود في القرآن الكريم بوحيٍ من ربّ العزّة والجلال، ويتميّز عن سائر الكلام بأنّ له مَدلولاته البليغة، وإشاراته العميقة التي لا تنتهي، فهو خطابٌ معصومٌ من التّحريف والتَّبديل والغلط، فالخِطاب القرآنيّ إذاً هو أفضل خِطاب عرفه العقلاء على الإطلاق من حيث البلاغة اللُّغويّة، والإعجاز اللُّغوي والإبداع تركيباً وتأليفا، وهو يُقسّم إلى قسمين هما:

.1الخطاب الإلهيّ: وهو الخطاب الربّاني الذي لا يقع تحت ضوابط الخطاب الإنسانيّ وقواعده، ويمتاز بخلوده، ويتميّز أيضاً بشمولية مواضيعه زماناً ومكاناً.

.2الخطاب البشريّ: وهو ما يُقابل الخطاب الإلهيّ، فهو خطاب يَلتزم بقواعد الخطاب البشريّ، ويُتوقع تطويره وخطاه، ومحدود غير شامل لجوانب الحياة، ومَصدره البشر (سنجق، ٢٠١٣م). ص. ٥ .

توطئة- أهميّةّ خطابها عليها السلام وأسبابه

تطرّقَ أربابُ السيرِ والتاريخِ لسيرةِ السيدةِ الزهراء عليها السلام كثيراً؛ لأنّها عقائدياً هي بضعة النبيّ الأكرم وحليلة الإمام علي عليه السلام (الطهراني، ١٤٠٨هـ) ج.٢١، ص.١٢٦؛ ولأنّها فكريّاً هي فاطمة عليها السلام ذاتُ مصدرٍ من مصادر القوة التاريخيّة التي تتابعتْ آثارها في دعوات الخلافة من صدر الإسلام إلى الزمن الأخير (العقاد، ٢٠١٤م)، وكان من أسباب ثورة السيدة الزهراء عليها السلام التّي ظهرت معالمها جليّاً في خطبتها العصماء (خطبة اللُّمة) ظاهراً هو منعها عليها السلام حقّ إرث أبيها المصطفى، وإنكار نحلته فدكاً إيّاها، وأمّا حقيقة دوافع ولوج السيدة الزهراء عليها السلام معترك الحياة السياسية هو الخلاف على ميراث الخلافة من بعد وفاة أبيها النبيّ الأكرم، ولم يكن لأجل خلافٍ على تركةٍ قليلةٍ، وهي لا تستحق هذه الوثبة من لبوةٍ مكسورةٍ الجناح (العقاد، ٢٠١٤م). ص.٤٠

لقد انتفضتْ عليها السلام ضد الانقلاب القريشي على خلافة الوصيّ الشرعيّ من بعد فقدِ أبيها خاتم الأنبياء، فكان مصابها مضاعفاً جللاً أنحل عودها وأقضّ مضجعها، فرامتْ رجوع الحقِّ الى نصابه حفظاً للنظام القيّمي، وأماناً للأمة وضماناً لنجاتها، ولكنّ نكراء الخونة وشيطنتهم أفشل مخططها وزاد من علّتها داءً حتى ماتتْ شهيدةً صابرةً، وليمضي على إثر نهضتها عليها السلام أبنها السبط الشهيد عليه السلام في نينوى، وقد جعلهما الله تعالى آيةً لأُولي الألباب كما جعل النبيّ عيسى عليه السلام وأمّهُ العذراء عليها السلام آيةً من قبل ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون:٥٠.(

لقد لاثتْ عليها السلام خمارها على رأسها في مِشيةٍ لا تخرمُ مِشية أبيها الخاتم شيئاً (المجلسي، ابن طيفور، و المعتزلي، ١٤٠٣هـ)ج.١٦، ص.٢١١؛ ص -٢٤٩؛ ج.٤٣، ص.١٤٨، وكان من طبيعة خطابها عليها السلام أن يكونَ مستنداً للحُجّة البالغة نُذراً وعُذرا، ونابعاً من وحي معجزة الدهر الخالدة ومصدر الأمة وأساس فكرها وعقيدتها، فجاء خطابها عليها السلام متوشّحاً بالقرآن الكريم من قرنٍ إلى آخرهِ نصّاً ومضموناً.

يُوعز كثرةُ استدلال السيدة الزهراء عليها السلام بآي القرآن الكريم واستعمالها لنصّه المقدّس في بلوغ مرامها إلى عوامل ذاتيّة، وأُخرى دوافع خارجيّة، فالذاتية منها تتمثّلُ في كون منطقها عليها السلام هو القرآن؛ لأنّها عليها السلام نشأة في حضن النبوة ورضعت من ثدي الإيمان حتى صار القرآن سجيتها ومندكٌّ معناه في جبلّتها، وأمّا الدوافع الخارجيّة فتكمن في ثبوت حُجيّة القرآن على جميع المسلمين باعتباره المصدر الأول لعقيدتهم وشريعتهم، ولم يختلف على تواتره اثنان، حيثُ تمَّ الاطمئنان بحفظه من التحريف نقصّاً وزيادةً كما وعد تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، ولم تستدل بالسنّة الشريفة في خطابها عليها السلام إلّا في حديث المناشدة، وبعد اليأس من صلاح القوم وهدايتهم، فلربُما استشعرت رفض الحاكم الذي منعَ نقل الحديث الشريف وتدوينه بذريعة اختلاطه بالقرآن الكريم، والعجب في المفارقة بين منع الحاكم وصاحبه رواية الحديث، وبين استدلاله بالسُنّة على منع السيدة الزهراء عليها السلام حقّها من إرث أبيها صلى الله عليه وآله بروايةٍ مختلقةٍ مفادها (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث...)، وهو صاحب المقولة المشهورة (حسبُنا كتاب الله) حتى بلغَ الأمرُ معاقبةَ المخالف وإحراق كتب الحديث (عبد الغني، ٢٠١١م). ص.١٢-٣٠.

بعد مراجعة خطاب السيدة الزهراء عليها السلام، وجدتُ أنّها ذكرتْ شواهد من النصَّ القرآني قُرابةَ الثلاثين موضعاً من خطابها، فقد يتكرر الشاهدُ القرآنيُّ في أكثر من موضعٍ؛ ليُعطي دلالةً أبلغ في الحُجيّة، ونذارةً في النفوس أعمق تأثيراً، حيث انقسمتْ شواهدها بالنصّ القرآني بين الأصول العقديّة (الفقه الأكبر)، وبين الأحكام الفقهيّة العامة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفيما يلي بيان الأمرين في مبحثين بشكلٍ مفصّلٍ مع تحليلٍ لآراء المفسرين.

اذاً سيكون هذا الفصل الأول منقسماً الى مبحثين هما: الأول أثر النصِّ القرآني في خطابها العقديّ، والثاني أثر النصِّ القرآني في خطابها التشريعيّ، سأورد تفصيلهما بما يتناسب مع مقام البحث سعةً وحدودا .

المطلبُ الأوّل- أثرُ النصِّ القرآني في خطابها عليها السلام العقديّ

استعملتْ السيدة الزهراء عليها السلام آي القرآن في خطبتيها الفدكيّة (الكبرى)، و(الصغرى) مع النساء كثيراً (المجلسي، ابن طيفور، و المعتزلي، ١٤٠٣هـ) (المعتزلي، ١٣٧٨هـ)، فاستهلتْ عليها السلام بآية التقوى في أوّل شاهدٍ قرآني بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، وتمجيد كتابَهُ المُنزل، وبعد بيان فضل النبيّ الأكرم على الأمة، وتحرير منافع الشريعة الإسلامية وعللها، فقد استعملتْ عليها السلام آية التقوى دون صدرها من قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُون﴾ (عمران:١٠٢)، واتبعتها بموعظة "وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه"، فتقوى الله تعالى أصل أخلاقي عظيم (ابن عاشور، ٢٠١١م)،ج.٤، ص.٣٠، وملازمٌ عقديٌّ لأصل توحيد الطاعة بدلالة عطف السيدة الزهراء عليها السلام (وأطيعوه..)، وبقرينة ذيلِ الآية (ولا تموتن) هو النهيّ عن الاعتقاد بغير الإسلام الحنيف حتى الموت ضماناً لحسن العاقبة، والنُكتة هنا أنّها عليها السلام اقتصرتْ على ذكر الآية المباركة في خطاب الناس دون صدرها (يا أيّها الذين آمنوا)؛ لمناسبة المقال لمقتضى صفة حال المُخاطَب، ولما ألمّ بها من أذىً منهم، حيثُ اكتفت

عليها السلام في بدء خطابها بالإشارة اليهم تنبيهاً بصيغة: "ثم أنتم عباد الله"، فلقد ورد في تفسير آية التقوى بالمأثور رواية عن ابن عباس قوله: "أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم.." (ابن كُثير، ١٩٩٨م). ج.٢، ص.٨٧، وأفضل الجهاد هو كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ، ومَنْ لم يُجاهد امتثالاً لأمر التقوى فقد خرج من دائرة الايمان ويبقى متزلزلاً في إسلامه.

بعد التذكير بالتقوى انتقلتْ عليها السلام إتماماً لقصدها بشاهدٍ قرآني آخر يدعو إلى الخشيّة من الله تعالى باكتساب العلم وتنوير القلب، فكان الحثّ بشهادة الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨)، والخشية هي رسوخ الايمان بتأثّر الجوانح (قلبيّ)، ومختصّاً بالخوف من الله تعالى اتقاءً لغضبه، وأمّا عموم الخوف فهو تأثّر الجوارح العملي بمعنى التهيؤ لاتقاء كُلِّ محذور وإن لم يتأثّر القلب (الطباطبائي، ١٩٨٨م) ج.١١، ص.٣٤٣، وهو ما أشارت إليه الآية المباركة ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب:٣٩)، فيكون مقصد الخشيّة من الآيتين هو الاستجابة للأمر الإلهيّ بلزوم وصل ما أمر به الله تعالى أن يُوصلَ من أمرِ المودّةِ لأهلِ بيتِ الرحمة، والمودّة هي أجرُ النبيّ الأكرم مقابل أدائهِ الأمانة الالهيّة الثابت في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى:٢٣)، وينبغي ألّا يخافوا تأديّة حقّ بضعة المصطفى وروحه، والدفاع عنه بلا خشية من سخط ظالم ولا لومة لائم، وليكونوا في حضيرة الذين أنعم الله تعالى عليهم ومصداقاً لوصفه تعالى في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد:٢١)، فخيرُ الوصال وأولاه هو وصال أهل بيت الرحمة وذريّة نبيّ الأُمة الذين أمر الله تعالى ورسوله بلزوم طاعتهم، فهم من عصمهم الله تعالى وطهّرهم من الرجس تطهّيرا، ولكن حين رأتْ عليها السلام منهم النكوص إعراضاً عن نصرتها وبَّختهم بشاهدٍ قرآني من قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١٣)، وفي الآية المباركة يظهر معنى التحضيض على الهياج لمنازلة الظالمين شريطة توافر عنصر الإيمان (ابن كُثير، ١٩٩٨م)، ج.٢، ص.٨٧، ومع انتفائه لا يتحقق الامتثال لحكم الله تعالى.

بعد أن دخل القوم في مخاض الحيرة، وصراع النفس بين اللوم والخنوع خُشّعاً لخطابها عليها السلام في بُكاءٍ ونحيب، يستمر الخطاب في ذكر سلسلة شواهده القرآنية مذكّراً إيّاهم بنسبها ومنزلتها عليها السلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيثُ خصّه القرآن الكريم بجميل المقال وأحسنه، فأردفت عليها السلام بشاهدٍ قرآني تذكيراً برابط صلّتها الوثيقة مع النبيّ الأكرم من خلال شهادة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، فالنبوّة ثاني أصول الدين بعد أصل التوحيد قد تمثّلتْ برسالة النبيّ الخاتم، والمسندة بالإعجاز القرآني كأعظم تحدّي للناس، وقد سبقت هذا الشاهد بتعريف نفسها عليها السلام تذكيراً: "أيّها النّاس اعلموا أنّي فاطمة وأبي مُحمّد"، ذلك النبيّ من عرفتم رأفته بالمسلمين، ومن كان يَعزُّ عليه أن تُصيبهم مخمصةٍ أو أذىً، بل ويدفع عنهم المشقّة باليُسر والرحمة، فلقد كان أبو الزهراء حريصٌ على هدايتكم؛ لتحقيق السعادة لكم في الدنيا والآخرة (ابن كُثير، ١٩٩٨م)، فَجاءَتْ خاتِمَة السورة بِالمِنَّةِ بِبِعْثَةِ النبيّ مُحَمَّدٍ، والتَّنْويهِ بِصِفاتِهِ الجامِعَةِ لِلْكَمالِ. ومِن أخَصِّها حِرْصُهُ عَلى

هُداهم؛ لِيَكُونَ رَؤُوفًا عليهم ورَحِيمًا بِهِمْ، ولِيَعْلَمُوا أنَّ ما لَقِيَهُ المشركون مِنَ الشدّة عَلَيْهِم ما هو إلّا لأجل هدايتهم، فالنبيّ الأكرم مِن أجلى مَظاهِرِ الرَّحْمَةِ الالهيّة (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج.٤، ص.٣٠.

لقد تمّ التذكير برأفة أبيها ورحمته في حياته، فحريٌّ بهم أن يحفظوا حقّ ابنته بعد مماته ويسمعوا شكايتها، فالمرء يُحفظ في ولده وبضعته، ثُمّ الحقتْ الآية بذكر نسبها ونسب الامام علي عليه السلام ومنزلته من رسول الله بقولها عليها السلام: "فإن تَعْزُوهُ وتَعْرفوهُ تَجِدوهُ أبي دون نسائِكمْ وأخَ ابن عمّي دون رجالِكم"، وبعد كلِّ هذا البيان أنكرتْ عليها السلام على مشايخ قريش ظُلمَهم إيّاها، وقرّعتْ المهاجرين توبيخاً لتخاذلهم عن نصرتها، وأخذتْ عليها السلام تُنكر عليهم لمخالفتهم شرعَ الله تعالى بخطابٍ من سنخ خطاب الله تعالى للمنافقين، فاستهجنت اعتذارهم عن نصرتها بعد وحشتها من فقد أبيها وغربتها بقولها عليها السلام: "ابتداراً زعمتم خوف الفتنة"، وتردفه بشاهدٍ قرآني من قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة:٤٩)، وأيّ فتنةٍ أشدُّ من مخالفة تعاليم القرآن وأحكامه الخاصّة بعقيدة الولاية وكمال الدين؟! فمن رفعه القرآن بالفضل فقد وضعه الناس بالضعة؛ "وذاك أنّ الخطر الأكبر في ذلك اليوم إنّما كان من فتنة السقيفة" (العقاد، ٢٠١٤م)، ص.٤٥، فالاستفتاح بـ (الا في الفتنة..) للتنبيه على غرابة ما دار في خلدهم، حيثُ احترزوا عن توهم فتنة الاقتتال فوقعوا في فتنة الدين، فما وقعوا فيه أشدُّ مما تفصوا منه، حيثُ وقعوا في فتنة الشرك والنفاق (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج.٤، ص.٣٠.

وفي صدد بيان هذه المؤامرة الكبرى استعرضت السيدة الزهراء عليها السلام منجزات أبيها المختار وفضله على الناس، وذكّرتهم بمناقب بعلها الوصيّ ومواقفه في نصرة الدين وهم في غمرة لذاتهم مترفون، ثم كشفت عليها السلام خيوط حركتهم الانقلابية وجذورها بعد رحيل المصطفى عن الدنيا تأكيداً لنفاقهم ووقوعهم في فتنة الشيطان، فقالت عليها السلام: "ظهر فيكم حسكة النفاق، ... وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين". لقد استجابوا لدعوة الشيطان في مخالفة صريحة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس:٦٠)، برفضهم وصيّة نبيّهم الأكرم في مشايعة الإمام علي عليه السلام وموالاته، وحفظ حقّ أهل بيته، فوقعوا في شرك طاعة الشيطان وعبوديته كفراً ببلاغ الله تعالى، فقد ورد في الأثر الصحيح: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، ...وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان) (الكليني، ١٤١٣هـ.(

ثُمّ توجهتْ بالإنكار تعجباً من رجال الأنصار بحرقةٍ ولوعةٍ علّهم يثيبوا الى رُشدهم بقولها عليها السلام: "أيهٍ بني قيلة أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منه ومسمع!"، وتذكّرهم عواقب التورط بشرك الانقلاب القريشي على خلافة ابن عمها الوصيّ، والعود الى غيّ الجاهليّة وعصبتيها بعرضها عليها السلام شهادة الآية المباركة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (عمران:١٤٤)، والانقلاب لُغةً يعني: الرجوع إلى المكان، يُقال: انقلب إلى منزله، وهو مجاز في الرجوع إلى الشرك الذي كانوا عليه بعد وفاة النبيّ الأكرم، وهذا الارتداد لا يضرّ سوى الناس؛ لأنّ الارتداد عن الدّين إبطال لما فيه صلاح النّاس، ولا يضرّ الله والدين شيئا

(ابن عاشور، ٢٠١١م)، ج.٤، ص.٣٠، وهذا المعنى البالغ لمسامع الظالمين قد يردعهم عن الطغيان؛ لما يُحدثه من إحباط في نفوسهم بعد علمهم بارتداد الضرر عليهم دون إطفاء نور الإسلام الخالد، ويتأكد المعنى حين ذكّرتهم السيدة عليها السلام بشاهد قرآني يدلُّ عليه من قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم:٨)، وقد تضمنتْ آية الانقلاب توبيخاً مفاده: أنّ محمداً ليس إلّا بشرٌ مرسلٌ من الله تعالى، ومأمور بتبليغ رسالة ربّه لا غير، و إنّما الأمر لله والدين دينه باق ببقائه تعالى، فلا معنى لتوقّف إيمانكم على حياته، حتى إذا ماتَ أو قتل تركتم العمل بالدين، ورجعتم إلى أعقابكم القهقريّ، وهذا يدلُّ على أنّ إيمانهم إنّما كان متزلزلاً يرنو نحو إرادة ثواب الدنيا وزخرفها بلبوس الإسلام، وهو سبب تقريعهم (الطباطبائي، ١٩٨٨م). ج.١١، ص.٣٤٣. إنّ معنى الارتداد بالآية هو الرجوع الى عبوديّة الأشخاص (من حكّامٍ وأحبار) من دون الله تعالى، وهذه العبوديّة من سنخ عبادة الناس لأصنامها في زمن الجاهليّة؛ لأنّها تعني الطاعة لغير الله تعالى (العقل، ١٤٣٣هـ). ص.٤.

لقد استبدلوا خير شرعة الإسلام بشرّ ضلالة الجاهليّة، والهداية الالهيّة بالغواية الشيطانيّة، وهذا القرار لا يتخذه إنسان عاقل، وهذا الترجيح بلا مرجح عقلي استهجنته عليها السلام لموقفهم المتخاذل في نصرتها، وجاءتْ بشاهدٍ قرآني: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ (يونس:٣٥)، فَمَا لَهمْ كَيْفَ يَحْكُمُونَ بإتباع ذُؤبان الأعراب (ابن منظور، ١٩٨٨م)، وتركوا أئمة الهدى.

لقد أنكرتْ عليها السلام عليهم سوء تدبيرهم بمخالفة الكتاب العزيز استجابةً لغواية إبليس، فاستعانت عليها السلام بقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف:٥٠)، فلا أثر لأداء مناسك الإسلام من عبادات وأحياء شعائره مع مخالفة أحكامه العامة وأصوله العقديّة، فمن يتخّذ الشيطان وليّاً فقد خسر ولاية الله تعالى كُفراً بنعمه المعنوية المنتجة لزوال النعم الماديّة؛ لأنّ النتائج تتبع أخّسَ المقدمات كما أشارَ اليه النصّ القرآني من شهادة السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الصُغرى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦)، فالاعتقاد القلبيّ بالرسول وتصديقه مع العمل بشرعته هما مقدمة للخير والبركة، وخلافه مقدمة للهلاك الأمم مع خصوصية أمة الإسلام (الأمة المرحومة) بنوعٍ خاصٍّ من العذاب كفقدِ الأمن والصحّة دون الهلاك الجماعي لكرامة نبيّهم الخاتم، "ومحل التعجيب هو تواطؤهم على هذا الغرور، أي يترتب على حكاية تكذيبهم وأخذهم استفهام التعجيب من غرورهم وأمنهم غضب القادر العليم، .. من إتيان بأس الله في مستقبل ذلك الوقت" (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج.٢، ص.٣٥ .

إنّ أهميّة الاعتقاد بأصول الدين الاسلامي والعمل وفق مبادئه وشرعته تكمن في رهن قبول العمل الصالح كمقدمة لسعادة الدارين، ومن هذا المنطلق أعقبتْ السيدة الزهراء عليها السلام استدلالها على بطلان عمل الظالمين لها بشهادة الآية المباركة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (عمران:٨٥)، ومن أظهر مصاديقه مخالفة ما أمرَ به رسول الله ونهى عنه، فَلَنْ يُقْبَلَ عملٌ مِن المخالف له، فكيف يُقبلُ منه الضلالُ بعد الإيمان!، فلا يُقبل من الْقَوْمَ المتمردين بظلمهم بل أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ

اللَّهِ ، فقد لعن الله تعالى أُمةً بعصيانِ أمره في ناقةٍ وفصيلها؛ وذلك "لأنّ الدين إذا لم يصل بصاحبه إلى هذا الخضوع والانقياد لله تعالى كان رسوماً وتقاليد لا تُجدي شيئا، بل تزيد النفوس فسادا" (المراغي، ١٩٩٨م). ج.٣، ص.٢٠٤.

لقد خصَّ أغلب مفسري العامّة شأنيّة هذه الآية في أهل الكتاب، والحال أنّ لسانها عام لا يمكن تخصيصه الّا بدليلٍ معتبر، فالتعبّد بغير دين الإسلام مصاديقه كثيرة لا يقتصر على أهل الكتاب فحسب، بل يتعداه سعةً ليشمل جميع المنافقين، والكافرين من المشركين، والمرتدين عن الإسلام بعد وفاة النبيّ الأكرم، ولو سلّمنا جدلاً برأيهم، ففي الصِحاح ورد أنّ بعض الصحابة كانوا يرجعون للتوراة حتى نهاهم النبيّ الأكرم، كما ورد في صحاحهم من خبر نهيّ النبيُّ عمراً تلاوة التوراة (العسقلاني، ١٣٧٥هـ). ج.١٣، ص.٥٢٥.

إنّ معنى الآية يتضح بجلاء بعد معرفة معنى (الدين) لُغةً واصطلاحا، ففي اللغة يعني: الملّة بالذات، وبالاعتبار هو العمل بالشريعة، والملّة هي العقيدة والشريعة، وما يُرجع إليه هو المذهب، وهو وضعٌ إلهيّ يدعو أصحاب العقول إلى امتثال أمرَ رسول الله (الجرجاني، ١٩٩٦م). ص. ١٠٥، إذاً معنى الدين شامل للشريعة والعقيدة معاً، ويتحدد معناه بحسب الاستعمال القرآني وتوظيفه لكلمة "الدين"، وقد أُستعمل قرآنياً للعقيدة والشريعة سواء أكانتا حقّاً أم باطلاً بحسب النسبة المضافة إليه (الطباطبائي، ١٩٨٨م). ج١١.، ص.٣٤٣.

ويتحصّل مما تقدّم أنّ عملَ كُلِّ من لم يؤمن بنبوةِ خاتم الرسل بعد بلوغه الحُجّة القاطعة، أو عملَ كُلِّ من آمن ولم يمتثل لأوامره، هو عملٌ باطلٌ وإن كان صالحاً، فلا ينتفع منه يوم القيامة وهو من الخاسرين لثواب الجنّة، وهذا ما بيّنته أمّ أبيها عليها السلام في خطبتها الصُغرى، وهي على بيّنةٍ من أمرها، ولا سلطانَ لها يلزمهم الهدى غير إلقاء الحُجج البالغة كما دلّ عليه شاهدها من قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود:٢٨)، في إشارةٍ الى رين قلوبهم المُفضي الى تعميتْ بصيرتهم وضلالهم.

بعد سلسلة الاستدلال القرآني على بطلان عمل من تعمّد غصب حقّ السيدة الزهراء عليها السلام، وسكتَ عن هذه الظلامة ولم ينصرها بيده ولسانه، قامت عليها السلام بدعم موقفها من خلال أسلوب الترهيب في محاولة ردعهم من خلال شهادتها بآيات التخويف الموسومة بغضب الجبّار، ولبوس العار الأبديّ موصولاً بنارٍ تحطّم كبريائهم وتذّل عزيزهم، كما جاءتْ بشاهدٍ من وعيد الله تعالى من قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الشعراء:٢٢٧)، ثُم أردفتها عليها السلام بآيةٍ أُخرى تذكّرهم بسوء العاقبة لكلِّ من أقترف ظُلماً بحقّها، وهي الصادقة التي لا ينبغي تكذيبها، فشاهدها كان من قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (المائدة:٨٠)، وهذا المعنى أكدّته من قوله تعالى في جوابها لنساء الأنصار والمهاجرين حيثُ استعملت عليها السلام آية الوعيد من قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (الزمر:٥١)، وشاهد قرآني آخر من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (الزمر:٥١)، فالإشارة بـ(هؤلاء) إلى قوم النبيّ الأكرم، وتخاطبه الآية أنّ

الظالمين من بعدك لهم عذابُ مَنْ قبلِهم بسيئاتهم، ووبال عملهم وما هم بفارين من الله تعالى (الطباطبائي، ١٩٨٨م). ج.٦، ص٣٢٤.

تتجلّى عظمة خطبة السيدة الزهراء الكبرى بالمنحى التطبيقيّ، حيثُ عملت عليها السلام جاهدةً على إثارة ما يحفّز إعمال العقل لدى جمهور المسلمين وعامتهم، وفي ختام خطبتها تمسكّت عليها السلام بمنزلتها من النبيّ الأكرم، وباهلتهم بمقامه الأقدس، واظهرتْ تحديّاً لمؤامرتهم رغم انكسارها، حيث قالت عليها السلام: "وأنا ابنةُ نذيرٌ لكُم بينَ يديَّ عذابٍ شديد، فاعملوا إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون"، لقد كان سرُّ قوتِها في يقينها بصدق كتاب الله تعالى، وما وعد أولياءه من نصرٍ إن لم يكُن عاجلاً فقد أذّخرَهُ لهم آجلاً، والعاقبة الحسنى لمن أتقى، والحمد لله ربِّ العالمين.

المطلبُ الثاني- أثرُ النصِّ القرآني في خطابها عليها السلام التشريعيّ

على غرار استدلال السيدة الزهراء عليها السلام بالنصِّ القرآني على إثبات حقِّها في خطابها العقدي، يُلاحِظُ المُتتبِعُ الأثرَ القرآني ذاتَهُ في أسلوب خطابها التشريعي استدلالاً على إثبات حقِّها في نحلة أبيها المختار، وإرثه تمهيداً لإثبات حقِّ بعلِها في الوصاية والخلافة من بعد النبيّ الأكرم.

سارتْ السيدة الزهراء عليها السلام وفقاً للنهج القرآني في جدال القوم، فقد استعملتْ في خطبتها الكبرى أسلوب السؤال المجازي كثيراً في جدال القوم؛ لقوة حُجّةِ هذا الأسلوب البسيط في إفحام الخصم وإقناعه (العريضي، ٢٠١٨م)، فحثّت عليها السلام على تدبّر آياته المباركة باعتبارها المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقدمت عليها السلام شاهداً قرآنياً يُعتبرُ دليلاً مشتركاً لإثبات العقيدة والشريعة من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:٢٤)، فالقفل هو الغلق كنايةً عن الإصرار والعناد، فكأنّ على قلوبِ هؤلاء المنافقين قفل يُناسب حالهم، وفيه إنكار لترك نعمة العقل طلباً للهوى (حطيبة، ٢٠١٢م)، وعليه لا ينبغي مخالفة آيات القرآن المحكمة باجتهاد الحاكم المُتسلِّط على رقاب المسلمين، فلا اجتهاد في مُقابل النصِّ الصريح (الغزالي، ١٩٨٩م)، وهذه الضابطة قد أتفّق عليها علماء الإسلام من الخاصّة والعامّة، ومستندهم القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦)، فينبغي للمؤمن أنْ يمتثل لحكم الله تعالى تسليماً، ويرضى بقضائه التشريعيّ رغبةً في امتثاله.

لقد أكدتْ أُمُ أبيها عليها السلام أنّ حكمَ رفعِ يدِها عن نحلتِها من أرض فدك، وإخراج عُمّالَها منها تعسُّفاً كان حُكماً أجنبيّاً عن شريعة دين الإسلام وأحكامه، ودينُ الإسلام بمعناه العام والشامل لكلِّ الأديان الإبراهيميّة من غير نسخٍ بهذا الحكم المشترك فيما بينها، وهذا ما جادلتهم عليها السلام به بإنكارٍ تَعَجُبيٍّ في شاهدٍ قرآنيٍّ من قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠)، فالآية المباركة في صدد التعريض بقومٍ من المسلمين تولّوا اليهود في إتّباع شريعةٍ من أيّام الجاهليّة، "والاستفهام إنكاريٌّ (أفحكم)، لأنّهم طلبوا حكم الجاهلية... (ومن أحسن؟).. واو الحال، وهو اعتراض، والاستفهام إنكاريٌّ في معنى النفي... وهو خطاب للمسلمين، إذ لا فائدة في خطاب اليهود بهذا" (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج.٤،

ص.٣٠. إذاً لقد كان حكمُ السيدة الزهراء عليها السلام في خروج مشيخة قريش عن دين الإسلام مبنيّاً على إنكارهم ضروريات الدين الإسلامي الأصيل، وإتّباعهم أحكاماً جاهليّةً مستبدةً، طاعةً لأحبار اليهود المحرّفين لأصل التوراة، فقد وصفَ القرآنُ الكريم من يخالف حكم شريعة الإسلام بالكفر والفسق والظلم.

أستمرتْ أُمُ أبيها عليها السلام في مواصلة حلقات سلسلة الإنكار عليهم بالأسئلة المجازيّة التي أفحمتْهم عجزاً عن جوابها، وقبل الاستدلال القرآني بحقيقة وراثة أبناء الأنبياء بعد موتهم وشرعيته في التراث الإسلامي قالت عليها السلام: "أفلا تعلمون...؟ أأُغلبْ على إرثي يا ابن أبي قحافة...؟ أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟!"، فهذا كتاب الله يصدح آناء الليل وأطراف النهار بما جاءت عليها السلام به من آيات مباركة تخالف حُكم من أدّعى خلافة نبيّ الإسلام عجباً، فقد شهدتْ لهم بواقعيّة توارث أبناء الأنبياء بدلالةِ قوله تعالى: ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل:١٦)، وشاهدٌ من حكايةٍ عن النبيّ زكريا عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم:٥-٦)، فأصل معنى الإرث لُغةً هو الميراث الماديّ يَثْبتُ حقيقةً بالتبادر الذهني، وهو انتقال التركة للورثة، فأصل الإرث إنّما يصدق في الأعيان الماديّة، ويُطلقُ مجازاً في المجدِ وغيره (الأزهري، ١٣٤٥هـ)، فإذا أُطلِقَ في العلم كان معناه مجازي، كالاستعارة في المشهور:"العلماء ورثة الأنبياء" (الطوسي، ١٣٤٥هـ)، ص.٣٤٥ وأمّا معنى الإرث الأعم من الحقيقةِ والمجاز فيما يتعلّق بما ترك الأنبياء من إرثٍ لأوصيائهم بوجه خاصّ كما ورد في الشاهد القرآني للتوريث بين أنبياء بني إسرائيل ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، فقد اختلفَ فيه علماء جمهور المسلمين فيما بينهم، فالبعض رأى أنّ المراد من الإرث هو إرثُ المال، "فقال الحسن المال لأنّ النبوة عطية مبتدأه ولا تُورث" (الرازي، ١٩٦٩م)، ص.٢١٦ ، وتمسّك الأغلب منهم بمعنى المُلك السياسي والخلافة، وذهب الأماميّة الى الجمع بينهما؟ مع اتفاقهم على أنّ النبوة لا تُورّث إنّما هي جعلٌ الهيّ.

إنّ أكثر مفسّري جمهور المسلمين قالوا: أنّ معنى الإرث هو المُلك الذي أختصّ به لخليفته دون المال، إذ وَرِثَ النبيُّ سليمان عليه السلام مقامَ المُلكِ خاصّةً من أبيه داود عليه السلام من بين تسعة عشر ولد، وكان داود أكثر تعبّداً لربّهِ، وسليمان أحكم قضاءً وأكثر شُكراً (الزمخشري، تفسير الكشاف، ١٩٨٩م)،ص.٢٤٣، وإن كانَ الخبرُ آحاداً، فلا مانع هنا من الجمع بين المال والمُلكِ مع بيان أهميّة المُلكِ، ولا حُجّة لهم في حصر الإرث بالمُلك دون المال سوى ادعّاءَ وحدة السياق تأويلاً، وخبر آحاد لا يصلح به التخصيص ما ثبُتَ عمومه بالدليل القطعي، أو قولاً بالنسخ لشريعة من قبلنا نقلاً عن اجتهاد أُمِّ المؤمنين، وقد بُرِرَ منعُ الإرثِ بحكمةِ منعِ تمنّي الأهل موت النبيّ والطمع بإرثه (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج.٢، ص.٥٠، لقد التمسوا حُججاً واهيّة أدتْ بهم الى الطعن بنزاهة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم، وهم الذين عصمهم الله تعالى عن سوء الأعمال وطهرّهم من الذنوب وخبُث السريرة.

مما يدلُّ أنّ النبيّ زكريا عليه السلام لم يقصد أكيداً في قوله عليه السلام: ﴿يرثُني ويرثُ من آلِ يعقوب﴾، معنى توريث ولده يحيى عليه السلام المُلكَ وهو لا مُلك له أصلاً، ولا حُكم لديه وقتها؛ لانتفاء مورده وعدم تحقّق موضوعه، فكيف أُخِذَ ببعض القرآن تأويلاً وأُعرِضَ عن البعض الآخر!، وهذا ما ورد الذمّ فيه صريحاً في

كتاب الله المجيد في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة:٨٥)، وقوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (عمران:٧.(

إنّ اختلافَ مفسّري العامّةِ في حُكمِ إرثِ أموالِ الأنبياءِ بينَ قلّةٍ مُثبتِةٍ له، وبينَ كثرةٍ مُنكرةٍ له بلوي عُنق النصِّ مقتصرةً على توريث العلم والمُلكِ دون المالِ دافعَهُ الانتصار لرأي عقيدتهم بالذي منع حقّ فاطمة الزهراء عليها السلام من إرث أبيها المختار بروايةٍ مختلقة، فقد صرّح أكابر مفسّريهم أنّ القول بوراثة مال ومُلك الأنبياء معاً هو الأسلم، ولا يُبطِلهُ سوى المروي (نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث..) (الرازي، ١٩٦٩م)، ج.٢، ص.٢١٦. فلقد خالفَ قناعتَهُ المنبثقة عن علمٍ ودرايّةٍ بخبر آحادٍ لا يصلح أن يخصّصَ به عموم القرآن ولا ينسخه؛ بسبب تعصّبه لمذهبه بدلَ التجرُّد وعدم الانحياز في منهج بحثه العلميّ، فكُلُّ تفسيرٍ يُخالفُ الضوابطَ العامّةَ والأصولَ العلميّة هو تفسيرٌ بالرأي، وقد نهّى الشارعُ المقدّس عن هذا التفسير الباطل وتوعّدَ الله تعالى صاحبَهُ عذاباً أليماً.

إنّ خُلاصةَ القولِ يجدُهُ المتأمّل فيما تُقررَ من تفسير الآية (وورث سليمان داود) مفاده: "واختلفوا فيما وَرِثَ منه، فقال اصحابنا إنّه وَرِثَ المالَ والحُكمَ. وقال مخالفونا: إنّه وَرِثَ الحُكمَ، لقوله صلى الله عليه وآله: (نحن معاشر الانبياء لا نوّرث مالاً..)، وهو خبر آحاد لا يُخصّص عموماً قد ثبُت" (الطوسي، ١٣٤٥هـ).ص.٣٤٥، أيّ: أنّ الإرثَ والتوارث بين الآباء والأبناء عموماً ثابتٌ بدليلٍ قطعيٍّ بلا استثناء للأنبياء بدليلٍ معتبر، سوى خبرٍ واحدٍ لا يصلحُ بتخصيص أخبار متواترة؛ لسقوطه عن الاعتبار الشرعيّ عند جميع فقهاء الإسلام، ولا يمكن أن ينسخ حُكماً ثابتاً في الإسلام، فقد تسالموا على رفض خبر الآحاد المعارض للنصِّ القرآني الصريح، وما تواتر من الأخبار المعتبرة، وإن كان صحيحاً في سنده فضلاً عن كونه ضعيفا.

إنّ آيات توريث الأنبياء مطلقة غير مقيّدة، وأنّ الإرث المقصود في الآية المباركة هو إرث المال والمُلك، وأمّا وراثة النبوّة والعلم فقد يرد إشكال بثبوتهما خصوصاً بين الأنبياء، وهو أنّ النبوّةَ لا تقبل الوراثة لأنّها بالتعيين الإلهيّ لا بالانتقال، والعلم يقبل الانتقال إن كان فكريّاً بالاكتساب، والعلم الذي يختصّ به الأنبياء والرسل حضوري، فهو كرامة الهيّة بالإلهام والهبّة، وليس من جنس ما يُكتسبُ بالفكر، فغير النبيّ كالوصيّ قد يرِثُ العلمَ من النبيّ لكنَّ النبيَّ لا يرثُ علمَهُ من نبيٍّ آخر ولا من غير نبيّ (الطباطبائي، ١٩٨٨م). ج.٢، ص١٢٣، والثابتُ قُرآنيّاً أنّ نبيّ الله سليمان كان أعلمَ من أبيه داود عليهما السلام في مسائل القضاء والحُكم بين الناس، وهو ما نقرأه في القرآن الكريم صراحةً: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء:٧٩)، حيثُ كان حُكم النبيّ سليمان في المتخاصمَين أصوب وملكه أوسع.

كُلُ ما تقدّم كان مبنيّاً على أنّ أرض فدك هي تركة النبيّ الأكرم، والحال أنّها في الواقع نحلةٌ منحَها لأبنتِهِ الزهراء عليهما السلام بأمرِ الله تعالى المنزل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الاسراء:٢٦)، وقد أورد هذا الخبر جملة من مفسري المسلمين صراحةً وضمناً (كُثير إ.، ١٩٨٤م .(

بعد ما تقدَّمَ من دلالة بآيات الكتاب المجيد على ثبوت التوارث بين الأنبياء وذراريهم بصورة خاصّة، انتقلتْ عليها السلام الى اثبات عدم التمييز في أحكام الإرث العامّة بين الأنبياء وسائر الأمة، فذكرتْ عليها السلام

آيات أحكام الإرث العامّة متتالية كشواهد على صدق دعواها، وهي كما قال تعالى: ﴿أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الانفال:٧٥)، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء:١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٨٠)، وهذه الشرائع من الولاء والإرث والوصيّة هي أحكام عامة تشمل جميع المسلمين -بلا استثناء للنبيّ الأكرم- بلزوم التعامل وفقها.

لقد جاءتْ عليها السلام بهذه الآية (وأولوا الأرحام..) للتذكير أنّ الولاية بين الأقارب لا تُعتبر إلّا بالإيمان، فأولو الأرحام من المؤمنين أولى بالولاية من الذين آمنوا ولم يهاجروا نُصرةً للدين، فالمؤمنون بعضهم لبعض أولياء ولاية الإيمان، وأولو الأرحام منهم بعضهم لبعض أولياء ولاية النسب (ابن عاشور، ٢٠١١م)، وبناءً عليه يلزم أن تَرِثَ السيدة الزهراء أبيها بالولاء إن منعَ الحاكم إرثها بالنسب بدعوى أنّ الأنبياء لا يتركوا إرثا؛ لذا استدلت عليها السلام بهذا الأثر في جدالها مع غاصبي حقّها حيثُ قالت عليها السلام: "وزعمتُم ألّا حظوةَ لي ولا إرثَ من أبي، ولا رحمَ بيننا أخصَّكُم الله بآيةٍ أخرجَ أبي منها؟ أم هل تقولونَ إنّا أهلُ ملّتين لا يتوارثان؟ أو لستُ أنا وأبي من أهل ملّةٍ واحدة؟ أم أنتم أعلمُ بخصوصِ القرآنِ وعمومِه من أبي وابن عمّي؟"، إنّها سلسلةٍ من التقريع، والإنكار، والتهكمّ الاستفهامي يعجزُ المتكلمون مع المفسرين عن الإجابة المُقنعِة عليها، فضلاً عن الجهلةِ بالقرآن وأحكامه أمثال المُخاطَبين.

إنّها عليها السلام الوريث الوحيد للنبيّ الأكرم بعد إخراج ثُمن التركة قسمةً بين أزواجه، فلا أخَ لها يكسر سهم إرثها للنصف، فقد شاء الله تعالى أن يموتَ أخوتُها وتبقى الوارثُ الوحيد، فآية الوصيّة في إرثِ الأبناء (يُوصيكم الله في أولادكم) قد انفردت عليها السلام بمصداق تلك الوصيّة الالهيّة تأكيداً لمنزلتها عليها السلام.

فلو كانتْ عليها السلام لا ترث أباها فرضاً من التركة، لبقي شأن آخر لأولي الأرحام طبقاً لآية الوصيّة، وهو لزوم الوصيّة على النبيّ الأكرم؛ ليترك لها عليها السلام بعض ما أُختصَ به من خيرٍ مما أفاء الله تعالى عليّ أو غنُمَ من حربٍ استجابةً لما تضمنته آية (إن ترك خيراً الوصيّة)، وهو مشهور ما ذهب إليه مفسري جمهور المسلمين (الرازي، ١٩٦٩م). ج.٢، ص.٣٣ .

إذاً يتحصّل مما تقدّم أنّ السيدةَ الزهراء عليها السلام ترِثُ من أبيها المختار بحكمِ أحدِ آيات المواريث بعد التنازل جدلاً عن كون فدك هي مُنحةً خاصّة، فإن رفض أغلب مفسري العامة توريث النبيّ الأكرم لأهل بيته، فقد اعترفوا بحقِ التمليك وصيةً من قبل الموت ؛بسبب صلّة القرابة تارةً (الوصية للوالدين والأقربين)، وبصفة الوصيّة لأولي الأرحام بالأولويّة (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)، فلم يبقَ لهم دليلٌ ولا حُجّةٌ يستندوا إليها في القول بصحّة رأي الحاكم السياسي آنذاك في منعِ السيدةِ الزهراء عليها السلام حقَّها من أرض فدك بحسب المنظور القرآني، فمظلوميّة أُمِّ أبيها ثابتةٌ عقلاً ونقلاً في وجدان كُلِّ منصفٍ؛ ولذا تُظهر السيدة الزهراء عليها السلام عجبها استغراباً من سكوت المسلمين عن هذه الظُلامة بحقّ أقرب الناس إلى نبيّهم ومعلّمهم، وهم يقرأون القرآن الكريم يومياً ويتعايشون مع آياته ليلاً ونهاراً، فقارعتهم عليها السلام توبيخاً لهم إثر إنكاراً عليهم حيث قالت عليها السلام: "الا هلُمَ فاستمع وما عشتَ أراكَ الدهرُ عجباً، إلى أيّ

سنادٍ استندوا وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا"، فالمستند الأوّل للمسلمين ومصدرهم الأقوى حُجةً هو القرآن الكريم وقد خالفوه عن درايةٍ وعناد، ولأجله قدّمت عليها السلام شاهداً قرآنياً يكشف حقيقة خسارة صفقتهم مع ظنهم الظفر الواقعي في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف:١٠٤)، في أسلوبٍ تهكمّي بصيغةِ الغائبِ، وإن كان الحاضرُ هو المعنيُّ بالخطاب، فما يُروعّهم إلّا أن يعلموا أنّ المُخبَرَ عنهم بالخسارة هم أنفسهم؛ توبيخاً لهم لما غَفلوا عنه من خيبة سعيهم (ابن عاشور، ٢٠١١م). ج٣، ص٢٣ .

إنّ غرضَ الانسان في حياته أن يسعى لسعادته، فإن ركب طريق الحقّ، فقد أصاب الغرض وهو حقّ السعادة، وإن أضلَّ الطريق جهلاً، فقد خَسِرَ سعيُه لكنّه مرجو النجاة، وإن أصاب غير الحق عمداً رُغمَ ما لاح له لائحٌ من الحقّ اعراضاً عنه، وإصراراً على الاستكبار، وعصبيّةَ الجاهليّة فهو الأخسرُ عملاً، وخاب سعيه؛ لأنّه خسران لا يُرجى زواله، ولا مطمع في أن يتبدّلَ يوماً سعادة. (الطباطبائي، ١٩٨٨م) ج٣، ص٤٥ .

بعد مباغتة القوم بحكم الخسارة الأبديّة بعد اصرارهم على ضلالهم الجليّ في مواصلة سبيل الظالمين، أعلنتْ عليها السلام أنّ تعنتْ مشيخة قريش في موقفهم الخاطئ بحقّها سيجعلهم في خانة من وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١١-١٢)، فقد واجه فجر الإسلام جماعة لم تكن تملك الإخلاص اللازم للإيمان، ولا قدرةَ لهم لمعارضته، فحالة التذبذب وازدواج الشخصية توغلت في نفوسهم، وشكّلت خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين.

كان تشخيصهم صعباً مع تظاهرهم بالإسلام، غير أنّ القرآن بيّنَ بدقةٍ مواصفاتهم وأعطى للمسلمين في كُلِّ القرون معايير حيّة لمعرفتهم، ومنها: أنّهم يتشدّقون بالإصلاح، بينَما هم يتحركون على خط التخريب والفساد، فالإنسانُ لو تمادى في الغيّ والضلال، فأنّه يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب لديه حسنة، والمنافقون أيضاً بإصرارهم على انحرافهم يتراءى لهم أعمالهم بالتدريج وكأنّها إصلاحيّة، وتغدو بصورةٍ ثانيةٍ لهم، وهكذا تنقلب المعايير لدى هؤلاء المنحرفين، فيرون الانصياع للحقّ وإتباع الدعوة الإلهيّة خسارة، بينما يرون شيطنتهم تعقلاً وهداية (الشيرازي، ١٤٣٣هـ). ج.١٢، ص.٢٣.

إذاً بالنظرِ لأهميّةِ الرسالة في هداية الناس عن ضلالتهم، ظهرت عليها السلام على غير سجيّتِها من العكوفِ في بيتِها؛ لأنّها رسالةُ حقِّها ووشيجةُ قرباها، وهما مسألة الخلافة بعد النبيّ الأكرم، ومسألة الميراث من فيئه، فالأُولى -وهي أَولى- تُسمَّى بالسياسة العُليا، والثانية تُعرف بسياسة الحكومة الماليّة أو الاقتصادية، ولكُلٍّ منهما جهات يدرسها مؤرخو الحوادث والسياسة. أمّا في الدراسات النفسيّة فالمهم فيهما وفي غيرهما هو ما تُترجمان عنه من خلائق صاحبة الخطاب وسجاياها، وما تترجمان عنه إيجازاً هو قوة إيمان بحقِّها تثبُتْ عليها، وشخصيّة مستقلة تُمثّل رقماً لا يُهمل (العقاد، ٢٠١٤م).ص٣٣ .

لقد أدّتْ السيدةُ فاطمةُ الزهراء عليها السلام رسالتَها على أتمِّ وجه، وألقتْ الحُججَ على المسلمينَ بالغةً إلى يومِ الدين، ولكن لم تجدْ عليها السلام أذاناً صاغيةً بل صدّتها قلوبٌ قاسيّة كالحجارة -اسمعتَ لو ناديتَ حيّاً-، فاستمرارُ مخالفتِها عليها السلام تعمُّداً لإثارةِ سخطِها عليها السلام، لا يعني سوى مزيداً من السخطِ الالهيّ على هذه الأُمّة، وينتجُ الكثيرَ من الفتنِ والتناحرِ وانعدام النظام، وتسلّطَ الأجنبيّ من الكُفّار والفاسقين على رقاب المسلمين، فلا حولَ ولا قوةَ الّا بالله العليّ العظيم.

ختاماً أبعثُ سلامي من مقامي الداني الى صاحبة المقام السامي سيدة نساء العالمين، والحُجّة السائدة على سائر الحُجج الميامين، مبادرةً بحمدِ الله تعالى، ومشفوعةً بالصلاةِ على مُحمدٍ وعلى آله المظلومين المعصومين، واللعنة الدائمة على من تعمّدَ ظلمهم وآذاهم أجمعين الى قيام يوم الدين .

النتائج

استدلتْ السيدةُ الزهراءُ عليها السلام بالنصِّ القرآني من خطابها العقديّ، والتشريعيّ للدلالة على ظلامتها تحذيراً وترهيباً.

ومن أهم آثار شواهدها القرآنية ما يلي:

1.دلالة أهميّة التقوى وتدارك الأمر بعد زوال الإيمان من قلوب الحاضرين.

2.أثر الخشيّة من البارئ على المسلم بعد تعلّم أحكام الدين والعمل بها، والحذر من الوقوع في شرك الشيطان وفتنه؛ لأنّه سببٌ في ضلال الحضور ونفاقهم.

3.دلالة فضل النبيّ المختار وبعلها الوصي على الأمة، والتذكير بمنزلتها الخاصّة من النبيّ صلّى الله عليه وآله، كما حذَّرَت عليها السلام زجراً من ظلمهم إيّاها، ولزوم الانتصاف لها .

4.أثر التحذير من تداعيات الانقلاب القريشي بعد رحيل المصطفى، ووصفهم بالنفاق بعد الإيمان والردّة بعد مخالفتهم القرآن الكريم ووصايا نبيّه الخاتم.

5.دلالة الإصرار على غصب حقِّها وبعلِها يُفضي الى سوء عاقبتهم، فتكون أعمالُهم هباءً منثوراً يوم القيامة، ولهم عذاب عظيم في نار جهنّم خالدين.

6.وظّفت عليها السلام الآيات في الاستدلال على ثبوت حقِّها من إرثِ أبيها المختار، وقد بدأتْ بالنصّ الخاصِّ بالأنبياء ثُمّ ختمت بالنصِّ العام للميراث.

7.اتفق مفسرو جمهور المسلمين ضمناً على ثبوتِ حقِّ السيدة الزهراء عليها السلام في إرثِ النبيّ الأكرم من جهة الوصيّة والولاء، ومنعوه أصالةً من جهة استثناء الأنبياء من توريث ذراريهم بخبر آحاد ذو طابعٍ سياسي.

8.ذهب صاحب تفسير التحرير والتنوير الى الطعن بقدسيّة أهل البيت عليهم السلام؛ تبريراً لمنعِ السيدة الزهراء عليها السلام من إرث أبيها صلى الله عليه وآله.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

.9كان استدلال السيدة الزهراء عليها السلام بالآيات المباركة منقسماً بين الإقناع من جهةٍ، وبين الترهيب والإنكار تخويفاً وتقريعاً من جهةٍ أخرى، علماً أنّ أغلب مفسري جمهور المسلمين قد توافقتْ رؤيتهم مع ما قصدتْهُ السيدة الزهراء عليها السلام من مفاهيم قرآنيّة دون أوجه انطباقه من جهة التأويل والمصداق.

المصادر والمراجع

•القرآن الكريم

•نهج البلاغة

المراجع

الراغب حسين بن محمد الأصفهاني. (١٩٩٦م). مفردات ألفاظ القرآن. القاهرة: دار العربي.

حيدر كاظم العريضي. (٢٠١٨م). الأسلوب القرآني في التنميّة العقديّة. النجف الأشرف: مؤسسة الامام الصادق.

رانيا سنجق. (١٣ ٢، ٢٠١٣م). تعريف الخطاب. مقال. موقع موضوع الالكتروني،، صفحة ٥.

عباس محمود العقاد. (٢٠١٤م). فاطمة الزهراء والفاطميون (المجلد بلا). (إيهاب سالم، المحرر) يورك هاوس، بيرطانيا: مؤسسة هنداوي.

محمد حسين الطباطبائي. (١٩٨٨م). الميزان في تفسير القرآن. قم: احياء التراث.

محمود بن عمر الزمخشري. (١٤١٩هـ). أساس البلاغة (المجلد الأولى). (تحقيق: محمد باسل عيون السود، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن ابي الحديد المعتزلي. (١٣٧٨هـ). شرح نهج البلاغة (المجلد الثانية). (محمد أبو الفضل ابراهيم، المحرر) قم المقدسة: مكتبة المرعشي.

أبو البقاء أيوب القريمي بن موسى الحسيني الكفوي. (٢٠٠٣م). الكليات. بيروت: دار الاحياء.

أبو الفداء ابن كُثير. (١٩٩٨م). تفسير القرآن العظيم (المجلد الثانية). المنورة: الملك.

أبو حامد محمد الغزالي. (١٩٨٩م). المستصفى. القاهرة: دار العربي.

أحمد الشيخ حطيبة. (٢٠١٢م). تفسير أحمد حطيبة (المجلد الأولى.(

أحمد بن حجر العسقلاني. (١٣٧٥هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. الاسكندرية: الروابي.

أحمد مصطفى المراغي. (١٩٩٨م). تفسير المراغي (المجلد الثانية). القاهرة: الأدباء.

إسماعيل بن عمر القريشي بن كُثير. (١٩٨٤م). تفسير بن كثير. الرباط: قرطبة.

الآغا بزرك الطهراني. (١٤٠٨هـ). الذريعة الى تصانيف الشيعة. قم: اسماعليان.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (١٤١٦هـ). كتاب العين (المجلد الخامسة). (تحقيق: مهدي المخزومي، المحرر) المدينة المنورة، السعودية: مكتبة الهلال.

الفخر محمد بن عمر الرازي. (١٩٦٩م). تفسير مفاتيح الغيب. القاهرة: دار العربي.

جعفر السبحاني. (١٤٣٣هـ). أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية (المجلد الأولى). بيروت، لبنان: دار جواد الئمة.

جميل بديوي الزهيري، و زينب رعد أحمد جاسم. (١ ١٠، ٢٠٢٣م). توظيف الأساليب الغوية في الترغيب والترهيب. مجلة لارك، صفحة ٢٤١.

سورة إبراهيم:٨. (بلا تاريخ.(

سورة آل عمران:١٠٢. (بلا تاريخ.(

سورة آل عمران:١٤٤. (بلا تاريخ.(

سورة آل عمران:٧. (بلا تاريخ.(

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

سورة آل عمران:٨٥. (بلا تاريخ.(
سورة الأحزاب:٣٦. (بلا تاريخ.(
سورة الأحزاب:٣٩. (بلا تاريخ.(
سورة الاسراء:٢٦. (بلا تاريخ.(
سورة الأعراف:٩٦. (بلا تاريخ.(
سورة الأنبياء:٧٩. (بلا تاريخ.(
سورة الانفال:٧٥. (بلا تاريخ.(
سورة البقرة:١١-١٢. (بلا تاريخ.(
سورة البقرة:١٨٠. (بلا تاريخ.(
سورة البقرة:٨٥. (بلا تاريخ.(
سورة التوبة:١٢٨. (بلا تاريخ.(
سورة التوبة:١٣. (بلا تاريخ.(
سورة التوبة:٤٩. (بلا تاريخ.(
سورة الحجر:٩. (بلا تاريخ.(
سورة الرعد:٢١. (بلا تاريخ.(
سورة الزمر:٥١. (بلا تاريخ.(
سورة الزمر:٥١. (بلا تاريخ.(
سورة الشعراء:٢٢٧. (بلا تاريخ.(
سورة الشورى:٢٣. (بلا تاريخ.(
سورة الكهف:١٠٤. (بلا تاريخ.(
سورة الكهف:٥٠. (بلا تاريخ.(
سورة المائدة:٥٠. (بلا تاريخ.(
سورة المائدة:٨٠. (بلا تاريخ.(
سورة المؤمنون:٥٠. (بلا تاريخ.(
سورة النساء:١١. (بلا تاريخ.(
سورة النمل:١٦. (بلا تاريخ.(
سورة فاطر:٢٨. (بلا تاريخ). سورة فاطر:٢٨.
سورة محمد:٢٤. (بلا تاريخ.(
سورة مريم:٥-٦. (بلا تاريخ.(
سورة هود:٢٨. (بلا تاريخ.(
سورة يس:٦٠. (بلا تاريخ.(
سورة يونس:٣٥. (بلا تاريخ.(
عبد الغني عبد الخالق. (٢٠١١م). حجيّة السُّنة. اسيوط.
علي بن محمد الجرجاني. (١٩٩٦م). كتاب التعريفات. القاهرة: دار العربي.
محمد بن الحسن الطوسي. (١٣٤٥هـ). تفسير التبيان. بيروت: الأعلمي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

محمد الطاهر ابن عاشور. (٢٠١١م). التحرير والتنوير (المجلد الاولى). القاهرة: دار العربي.

محمد باقر المجلسي، ابو الفضل ابن طيفور، و ابن ابي الحديد المعتزلي. (١٤٠٣هـ). شرح نهج البلاغة؛ بحار الأنوار؛ بلاغات النساء. قم المقدسة: دار الوفاء.

محمد بن أحمد الأزهري. (١٣٤٥هـ). تهذيب اللغة. القاهرة: ؛ياء الفكر.

محمد بن مكرم ابن منظور. (١٩٨٨م). لسان العرب. القاهرة: درا الكتب.

محمد بن يعقوب الكليني. (١٤١٣هـ). كتاب الكافي. قم: الهدى.

محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٨٩م). تفسير الكشاف. القاهرة: دار العروبة.

ناصر عبد الكريم العقل. (١٤٣٣هـ). شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية. الطائف: مجمع الملك.

ناصر مكارم الشيرازي. (١٤٣٣هـ). تفسير الأمثل. قم: دار الفكر.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية